

دراسة مقارنة لصورة الغرب في روايتي "قنديل أم هاشم ليحيى حقي"
و"الفارسي هو السكر لجمال زادة"

الدكتور عبد الرزاق رحمانى

أستاذ مساعد بجامعة هرمزكان، ايران
(rahmani6038@gmail.com)

أستاذة أمينه زرگر

أستاذة اللغة العربية بجامعة هرمزكان
ايران

ملخص:

تعد تأثير الدول الغربية من العوامل الرئيسية في تغيير وتحول الدول الشرقية ذلك وفقا لخلفياتها التاريخية، السياسية والاجتماعية؛ إيران ومصر من البلدان المتشابهة بشكل كبير من جهة نفوذ البلاد الغربية والتأثر بها، سيتم بحث هذا الارتباط والتأثر من جهات مختلفة لهذين البلدين المذكورين، والكتابة الروائية تعتبر من أهم المجالات التي تبين هذا الارتباط وكيفية التأثير فيه، وقد تم اختيار يحيى حقي وجمال زادة في هذه المقالة حيث أنهما من أبرز شخصيات الروائية في بلديهما، وتسعى هذه المقالة الإجابة على هذا السؤال ما موقف الروائيين من الغرب؟ وقد توصلت المقالة - من خلال المنهج الوصفي وفي ضوء المنهج الاجتماعي و المقارن - إلى أن كل من الكاتبتين كانت رؤيتهما حول الغرب رؤية حضارية، بحيث تنبها إلى أسباب تقدم الغرب مادياً وتقنياً وعلمياً وثقافياً وفنياً، ولكنهما تنبها أيضاً إلى قيمة الشرق، وتميزه على مستوى القيم الدينية والروحانية، ودافعاً عن أصالته وعاداته وتقاليده وحضارته وشرقيته.

الكلمات الرئيسية: الغرب، يحيى حقي ، محمد علي جمال زاده، الرواية

المقدمة :

مفهوم الغرب ليس بسيطاً ولا كلياً، فهو يشمل مكونات السياسة والاقتصاد والتاريخ والجغرافيا والعرق والدين والإيديولوجيا؛ واشتغال المفهوم -كما هو واقع- لا يقوم عليها جميعاً، بل يقوم على الحضور النسبي لبعضها. وهذه المكونات المتعددة للمفهوم لتحل أحياناً إلى التباسات أخرى حين تستدعي ثنائية الشرق والغرب، والمسيحية والإسلام، لتحل المسيحية كمرادف للغرب. لذا يختلف حصر كل من الشرق والغرب باختلاف المنظورات، ومما يتبادر إلى الذهن لأول وهلة في مواجهة الغرب هو الموقع الجغرافي، وقد حدد بعض الجغرافيين الحد الجغرافي للغرب واعتقدوا أن الغرب يمتد من أوروبا إلى أميركا، لذلك هذه الدلالة الجغرافية لا تخدم غرضنا هنا، كما لا تخدم دلالة أي باحث لعلاقة الشرق بالغرب، أما من الناحية الفلسفية، فقد رأى الفلاسفة أن الغرب ضد الشرق واعتقدوا أن الغرب هو الغمر في الظلام الحسي والبعد عن الحقيقة، الناحية التي اهتم المحللون بها واكتسبت تعريفاً دقيقاً وشاملاً من الغرب هي الناحية الفكرية حيث ينفصل عنصر الفكري والثقافي للغرب عن

الشرق في الواقع؛ وبهذا يصح القول أن صورة الغرب في الوعي الشرقي إبان العصور الوسطى يختلف جذريا عن صورته في العصر الحديث والمعاصر، وبالمثل اختلفت صورة الشرق في الوعي الغربي من حقبة إلى أخرى. قضية الصراع بين الشرق والغرب من أكثر قضايا الأدبي شيوعاً وأهمية، ولا يعد الصراع الحضاري ظاهرة جديدة بالنسبة إلى التاريخ الشرقي الحديث فقد تناولها الكثير من الأدباء في البلاد الشرقية. (انظر: حاتمي، ١٣٨٩ش: ١١٨ - ١١٩) ومن هؤلاء الأدباء التي انعكست صورة الغرب في روايتهم، يحيى حقي في روايته المشهورة "قنديل أم هاشم" وجمال زاده في روايته الرائعة "فارسي شكر است" «الفارسي هو السكر»، ولا نستطيع أن نرجح عمل يحيى حقي على عمل جمال زاده أو بالعكس في تبين صورة الغرب لأنهما على الرغم من اختلافهما في الموطن والآداب، ولكنهما يمتازان بوحدة الأفكار ومواقفة الطبائع والأحاسيس التي تنبعث من الإنسان الشرقية، ومن جهة أخرى صورة الغرب عند الراويين تستند إلى تجارب وخبرات غنية التي اكتسبها الأدبيين من المجتمع الغربي.

أهمية البحث

الأدب هو الذي يعبر عن الخصائص الفكرية التي تتميز بها أمة ما، لكن نلاحظ بأن جميع الثقافات الأدبية المختلفة تلتقي مع بعضها البعض في كثير من الوجوه، فإن هذه الثقافات الأدبية المختلفة قد تتلاقى فيما بينها عن طريق الامتزاج بين الشعوب فتتفاعل مع بعضها، فيؤدي هذا التفاعل إلى تأثيرات جزئية أو كلية، في طبيعة هذه الثقافات وفي خصائصها. ومن هنا نرى كثير من رواة العالم قد تناولوا موضوع الغرب وأثره في رواياتهم.

حدود البحث

يتحدد البحث بتناول روايتي يحيى حقي ومحمد علي جمال زاده، وهما من الروائيين البارزين لا سيما في كتابتهما حول الغرب وتأثيره، فاخترنا روايتهما كموضوع للبحث وهما "قنديل أم هاشم" و"فارسي شكر است"، ليظهر صورة موازنة بين الشرق والغرب.

أسئلة البحث

- ما مدى وضوح التقابل الحضاري في الروائيتين؟
- ما رؤية الكاتبين للغرب في الأثرين؟
- ما الغاية الأساسية من إبداع الشخصيات الروائية عند الكاتبين؟

منهج البحث

من المعروف أن المنهج عبارة عن خطوات محددة بأهداف معينة لاختبار فرضيات وتحقيق أهداف، واختيار منهج البحث في البحوث التطبيقية يكون على حساب البنية التحتية الثقافية لمجتمع الدراسة، مع أن المجتمعين الإيراني والمصري، مرت عليهما تحولات ثقافية

مشتركة، ولذا فإن دراستنا تقوم على المنهج الوصفي والمنهج الاجتماعي والمقارن. ويستند المنهج الاجتماعي إلى ربط الأدب بالبيئة والمجتمع، يعني مرآة تعكس المجتمع بشكل مباشر، وتلتقط تناقضات المجتمع وصراعاته الجدلية.

الدراسات السابقة

بالنسبة لخلفية البحث يمكن القول بأنه يحيى حقي ومحمد علي جمال زاده من الكتاب الذين تناولهما إليهما كثير من الباحثين بالدراسة فيحيى حقي منها: "رواية قنديل أم هاشم وعصفور من الشرق دراسة موازنة في الشكل والمضمون" لنرجس حاتمي توصل الباحث إلى ان رواية "قنديل أم هاشم" تعد رمزاً للعادات والتقاليد الموروثة المتأصلة، أو رمزاً للثبات والتحجر أمام الموروث دون أدنى محاولة للتطور؛ وفي رواية عصفور من الشرق يبين الكاتب بأن للغرب عادات وتقاليد وروحانية عظيمة، كما أن للشرق روحانيته العظيمة، ويمكنهما أن تتحدا، وهناك مقالة تحت عنوان "إيديولوجيا المصالحة في قنديل أم هاشم وموسم الهجرة إلى الشمال" لطيب الصالح يستنتج الكاتب فيها أن يحيى حقي في عمله أراد هذا إقناع القارئ بأن علاج الشرق ليس في الأصالة وحدها لأنها تعطينا رؤية مضببة، ولا في المعاصرة وحدها، لأنها تؤدي بنا إلى العمى وفقدان البصر، بل في المزوجة بين الالثنيتين: الإيمان ممثلاً للأصالة، والعلم ممثلاً للمعاصر. وهناك أثر في الأدب الفارسي درس واهتم بقصة "فارسي شكر است" لجمال زاده بعنوان: "عوامل داستاني فارس شكر است" لآتش سودا وفي هذه المقالة يستند الصراع إلى ثلاثة محاور الرئيسية، اللغة، واللباس، والشخصية. و"فارسي شكر است" لداريوش آشوري؛ يشير الكاتب فيها إلى أنّ النزاع بين علماء الدين والمستنيرين العلمانيين في بداية العصر تحوّل بالتدريج إلى اصطفااف شامل بين أنصار المذهب من جهة، والمستنيرين العلمانيين من جهة أخرى، وقد بدأت هذه المواجهة تأخذ أبعاداً أوسع، الأمر الذي زاد من الشعور بالحاجة إلى ضرورة الإجابة والوقوف بوجه هذه التيارات التي بدأت هجومها بغطاء من المدنية والترقي. لكن مما لا ريب فيه أن الدراسة في «صورة الغرب في رواية "قنديل أم هاشم" ليحيى حقي و"فارسي شكر است" لجمال زاده تمتاز بخصوصية فريدة لم يتطرق لها أحد من الباحثين، وهي مغايرة لغيرها من الدراسات، إذ أنها جميعاً لم تتناول موضوع الموازنة، بل أشارت إلى الصراع بين الغرب والمجتمعات الشرقية؛ ولكن دراستنا هذه قد قدمت موازنة بين الأدبين؛ الإيراني والمصري.

الظروف الثقافية في مصر وإيران

إنّ الاستعمار ظاهرة عرفها التاريخ منذ القرون الأولى، تعمل على توسيع حدودها ومناطق نفوذها، فتتهجم على البلدان الأخرى، عندما اشتدت قوة البلاد الغربية سياسياً، عسكرياً وفنياً اتجهت إلى احتلال الشرق واستعمار واستغلاله، حيث فتح هذا الاستعمار

والاحتلال عيون البلاد الشرقية على حضارة البلاد الغربية، العامل الذي أنشأ عملية إيقاظ البلاد الشرقية في تاريخها الحديث والاتصال بالحضارة الغربية، إنَّ إيران ومصر من البلاد التي في الواقع كانتا تحت السيطرة الغربية وعانتا من الفقر والجهل وهما تتشابهان في الظروف السياسية والاجتماعية، لكن اتصالهما بالحضارة الأوروبية حثَّهما على تغيير ظروفهما، فحصل التحول والتغيير، كان الاستعمار هو بداية لتنبههما، حيث أنهما تطلعا إلى الأشياء التي لا يعرفانها فبدأتا بصنع حضارة علمية، ثقافية سياسية ونظامية وبتنفيذ المشاريع المختلفة.

التعريف بالكاتبين

التعريف بالكاتب يحيى حقي: يحيى حقي من الكتاب المعاصرين في مصر وهو من أهم رواد وأعلام النهضة الحديثة والقصة القصيرة في الثقافة المصرية. (فاروق، ١٩٩٤م: ١٦٦) سجلت كتاباته نبض الحياة المصرية وعكست أنماط الحياة والتقاليد الاجتماعية ومشاكل مصر في قصصه، هو شديد الإحساس بكل ما يتعلق بمصر سواء من تاريخ أو عادات" (المصدر نفسه، ٥٠)، قصصه تأتي امتداداً لما بدأه رواد القصة القصيرة قبله بفترة قصيرة وهم " عيس عبيد، محمود تيمور وطاهر لاشين" وتأثر بأسلوبهم، إضافة إلى تأثره بالروائيين نرى تأثره الروائيين الأوروبيين في آثاره، مثل" جي دومباسان وآلن بو" وتأثر بالأدباء الروس ومنهم " تولستوي" ثم يلاحظ أيضاً تأثره بأعلام الأدب الإنجليزي وخاصة الكاتبة وفرجينيا وولف". (حميد، ١٣٨٠ش: ٣٤)

أما إلى آثاره في مجموعة من القصص القصيرة والطويلة ومجموعة من المقالات فيها، وهو لا يكتفي فقط بالكتابة بل يأخذ القلم وينتقد آثار الآخرين، ويهتم بالنقد إلى جانب كتابة الرواية، وهو ناقد حاذق ومن رواد النقد الإيديولوجي". (الفاروق، ١٩٤٤م: ١٩٤)

مع أن "قنديل أم هاشم" من أشهر قصص يحيى حقي، إذ اهتم أكثر الأدباء والنقاد بها ونشرت في عام ١٩٤٤م وقد أدرجها في مجموعة قصصية لها العنوان ذاته، يصف يحيى حقي في هذه الرواية الصراع بين الحضارة العربية الإسلامية التقليدية ونقيضتها الغربية المتحضرة، قد حظيت هذه الرواية بإعجاب القراء وأخذت مكانة مرموقة في الفن الروائي المتقدم والملتزم في مصر، وذلك لمضمونها الشعبي ومغزاها الإيماني ولغتها السهلة.

التعريف بالكاتب محمد علي جمال زاده: يُعدّ "جمال زاده" من الأدباء الذين بذلوا جهداً كبيراً في تطور الرواية الإيرانية إذ فتح عالماً جديداً أمام رواتها، فقد أحب إيران، رغم أنه تركها وهو يتناول مشاكلها، ولم يقلل بعد المسافة من حبه لها بل كان لهيبته يشتد ويحرق وجوده. (آرين پور، ١٣٨٢ش: ٢٧٨) قد سُمي جمال زاده أب القصص الحديثة في إيران وفي الواقع هو من الأعلام الذين كتبوا القصة القصيرة بأسلوب الأوروبيين فهو في قصصه

متأثر بأسلوب " جي دوموباسان" بينما الإيرانيين لم يعرفوا هذه الشخصية في ذلك الوقت، اطلع " جمال زاده" وفقا لظروف والده على المسائل الاجتماعية والسياسية منذ الطفولة، وتسببت هذه المعرفة في أن يهتم لها أكثر من اهتمامه بالمسائل الأخرى.

إنّ استخدام اللغة العامية سمة بارزة من سمات كتابته جمال زاده، إذ يتميز أسلوبه بالفكاهة وهدفه تحويل وتغيير المجتمع والظروف لا للسخرية، النفور من الظلم ونقد المجتمع من أهم المفاتيح الهامة للاقترب من عالم جمال زاده وأدبه إذ أنها السمة السائدة في شخصيته وأدبه على حد سواء.(آشوري، بلاتا: ٢٦-١٨) ، تعد رواية " فارسي شكر است"» الفارسي هو السكر» نقطة التحول في الرواية الفارسية، لأنه استخدم أسلوبا وفكرا حديثا في كتابة الرواية وتوجيهها لجميع الطبقات، نشرها جمال زاده في عام ١٣٣٣ هـ ش وقد أدرجها في مجموعة قصصية بعنوان " يكي بود يكي نبود" التحق جمال زاده برواة القصة وكتّابها بينما كتب حول المسائل المختلفة قبل ذلك، قرأ هذه الرواية قبل نشرها على مجموعة من الناس، فشجعه على نشرها «بصور فيها مسألة اللغة وامتزاجها مع اللغات الأخرى وهذا الامتزاج يعود إلى حضور الغرب وسلطته على البلد.»(باينده، ١٣٨٩ش: ٩٤)

ملخص الأثرين

ملخص "قنديل أم هاشم": تدور القصة حول أسرة الشيخ رجب، تأتي هذه الأسرة من الريف إلى القاهرة وتسكن في حي السيدة زينب، يستأجر حانوتا في هذا الحي الذي تزداد بركته يوما بعد يوم، لديه ثلاثة أولاد يعمل ابنه الأكبر معه في الحانوت، الابن الثاني يدرس في الأزهر ويصبح فقيها فيما بعد الريفي أما الابن الثالث إسماعيل فهو المحترم من الأسرة ولا سيما فاطمة ابنة عمه، إذ إنه أمل أسرته. يتأثر إسماعيل بحي السيدة زينب لا سيما مسجده وكبر على القرآن والدين، وهناك الخمارة والمقاهي والباعة المتجولين حوله، سبق جميع زملائه خلقياً ودراسياً لكنه لم يستطيع دخول المدرسة الطبية مع كل جهوده وموهبته، يملأ الكرب الأسرة يبدأ الأب بالبحث عن حلول، أخيراً، اقترح أحد أصدقائهم أن يرسلوا إسماعيل إلى إنجلترا حتي يدرس الطب، فذهب إسماعيل إلى إنجلترا على الرغم من معارضة أمه، تزوج من ابنة عمه قبل الرحيل وفقاً لرغبة الأهل، يعرف إسماعيل على ماري في إنجلترا وينسى أفكاره القديمة وحياته الماضية لكنه لم يستطيع أن ينسى وطنه وبلده، تقدم إسماعيل في إنجلترا تقدماً كبيراً وأصبح طبيباً حاذقاً، ويعود إلى بلده بعد انتهاء الدراسة، يؤذيه الفقر وتخلف بلده فيقرر أن يغير بلده وأن يوصله إلى ذروة التقدم، يذهب إلى بيته وتتعجب أسرته منه لأنه لم يخبر أسرته بزمن عودته إلى مصر، يغضب إسماعيل عندما يري أمه تسكب الزيت في عيني فاطمة حتي تداويها -كانت تعتقد أن الزيت المأخوذ من قنديل أم هاشم قادر على شفائها- يأخذ زجاجة الزيت من أمه ويرميها إلى الخارج ويقرر أن يذهب ويدمر

القنديل لأنه عامل رئيسي في جهل الناس وذهب ليكسر، لكن الناس لم تتصدى له، بعد ذلك يقيم إسماعيل في البيت ثم يعزم على أن يعالج عيني فاطمة لكنه يفشل في ذلك وتساءل حالة عينيها يوما بعد يوم، يترك إسماعيل البيت ويقوم في إحدى الفنادق، يفكر كثيرا، لماذا لم ينجح وهو طبيب حاذق؟ الأطباء في أوروبا يعالجون الناس بنفس أسلوبه! يأتي شهر رمضان، وهو ما يزال يفكر ويدور في المدينة، لكنه يفهم بعد التفكير الطويل أنه لا قيمة للعلم بدون الإيمان به، يذهب إلى الشيخ درديري ويأخذ منه زجاجة الزيت ويقرر أن يعالج عيني فاطمة بواسطة العلم والإيمان معا، يداوي عيناها، وتعود لفاطمة صحتها ثم يفتتح إسماعيل عيادته في حي الفقراء ثم يتزوج منها، ويعيش سوية سعيدة. (حقي، ١٩٩٧م: ٥٩، ١١٩)

ملخص "الفارسي هو السكر": وهي القصة الأولى في مجموعة "كان يا ما كان" تدور حول الصدام في سجن إيراني بين إيراني عامي قادم من الريف ومخلوقين غير طبيعيين من مواطنيه، يعود الراوي إلى إيران بعد خمس سنوات من العيش في الخارج، يصل إلى ميناء أنزلي، يأتي إليه اثنين من وكلاء الحكومة ويشككان في جنسيته لأنه قد لبس قبعة أوروبية من أحاديث الناس أن الصراع قد اشتد بين الملك والبرلمان في طهران، وأنه قد صدر أمر خاص بمراقبة المسافرين والركاب، والضابط الذي جاء من رشت كان صارما أكثر من سبقه، يأخذونه إلى غرفة مظلمة وراء قسم الجمارك حتي يتموا التحقيقات اللازمة، بعد مدة من الوقت يدرك الراوي إنه ليس وحيدا بل هناك شخصان آخران في الغرفة ويفهم الراوي من نوع ثيابهما أن أحدهما شيخ والآخر يوناني الأصل، ولم يكن قد تحدث معهما بعد، يفتح الباب وقد رمي الشاب في الغرفة اسمه رمضان، يشتكي من الظروف ويعتقد أن سبب اعتقاله هو العمل في بيت قوقازي لفترة قصيرة، يبحث رمضان عن شخص ليتحدث معه ويشعر بالهدوء، ويرفض التحدث مع الراوي بسبب قبعته، فيذهب إلى الشيخ ويتحدث معه، يسأله عن سبب اعتقاله لكن كانت العبارات المنمقة العربية الفارسية التي ينطق بها رجل الدين، ثم التغييرات الأجنبية الغربية التي ينطقها الشاب "المتفرنس" تضايق الرجل البسيط وتشعره بالضالة، كان الرجل قد دخل السجن دون ذنب جناه، يظن رمضان أنهما مجنونان فيشعر بالخوف، يبكي رمضان، ثم يشفق الراوي عليه، فيذهب إليه ويتكلم معه، يتعجب رمضان من كلامه لأنه يتكلم باللغة الفارسية ويرتدي قبعة أوروبية، ثم يعرب رمضان عن سروره، يوضح الراوي له أنهما ليسا مجنونين بل يتكلمان بلغة أخرى فقط، عندئذ يفتح الباب ويقول الضابط: إنهم أحرار وعندما يخرجون من الغرفة، يرون الشاب يتكلم بالفارسية الممتزجة بالتركية فيخاف رمضان مرة أخرى من كلامه، وأخيرا يركب الراوي، الشيخ واليوناني في عربة ويذهبون إلى رشت لكن رمضان لا يذهب معهم، وحاول البحث عن

تفسير عند هاتين الشخصيتين البارزتين، أنها قصة مخدومة وذكية إلى أبعد الحدود لخطها تكلف المتغرب وفيهفة الشيخ عند الحديث الفارسية. (پابنده، ١٣٩١ش: ٩٦-١٠٠)

الغرب في "قنديل أم هاشم"

يحيي حقي في قنديل أم هاشم لم ينبهر بالغرب إلى درجة السذاجة السطحية والاستغراب الخارق الفاتن، بل تنبه إلى أسباب تقدم الغرب مادياً وتقنياً وعلمياً وثقافياً وفنياً، ولكنه تنبه أيضاً إلى قيمة الشرق، وتميزه على مستوى القيم الدينية والروحانية، والدفاع عن أصالته وعاداته وتقاليده وحضارته وشرقيته؛ وهنا نشير إلى بعض تلك العوامل:

الدين: يصور يحيي حقي في قنديل أم هاشم واحدة من المشاكل التي تواجه المجتمعات الفكرية، يذكر الدين كفراسة من فرائس الغرب ويشير إلى أن الغرب هو عالم مادي يسعي ليفني الدين من الحياة البشرية، يمكن فهم الدافع الرئيسي من كتابة القصة من خلال قراءة العنوان والسطور الأولى، رغم أنه يتناول أهدافاً أخرى في ظل هذا الأهداف، إنه لا يشير مباشرة إلى الدين بل يستفيد من إحدى المقدمات التي يحترمها الجميع وهذا ما يضفي الجمال على عمله، في الواقع قد جعل قنديل أم هاشم والزيت رمزاً للدين، أن إسماعيل هو الشخص الذي أختاره حتى يشير إلى الصراع وإلى التناقض مع الدين، يشير يحيي حقي إلى خلفية أسرة إسماعيل الدينية في بداية، ويذكر أن جميع أجداده يحترمون الدين والأماكن المقدسة احتراماً خاصاً، يفهم هذا الاحترام والتقدس من ثلاث:

أ- هبوط الرأس على العتبة الرخامية: « كان جدّي الشيخ رجب عبدالله إذا قدم للقاهرة وهو صبيّ مع رجال الأسرة ونسائها للتبرك بزيارة أهل البيت، دفعه أبوه إذا أشرفوا على مدخل السيّدة زينب، وغريرة التقليد تغني عن الدفع، فيهوي معهم على عتبه الرخامية يرشقها بقبلاته، وأقدام الداخلين والخارجين تكاد تصدم رأسه. » (حقي، ١٩٩٧م: ٥٩)

ب- اختيار البيت القريب من مسجد السيدة زينب: « فلا عجب أنه اختار لإقامته أقرب المساكن لجامعه المحبب. وهكذا استقر بمنزل للأوقاف قديم، يواجه ميضأة المسجد الخلفية، في الحارة التي كانت تسمى (حارة الميضأة)؛ لأن معول مصلحة التنظيم الهدام أتى عليها فيما أتى عليها فيما أتى عليه من معالم القاهرة طاش المعول وسلمت للميجان روحه، إنما يوفق في المحو والإفناء حين تكون ضحاياه من حجارة وطوب! ثم فتح جدي متجراً للغلال في الميدان أيضاً. وهكذا عاشت الأسرة في ركاب الست وفي حماها: أعياد الست، أعيادنا، ومواسمها مواسمنا، ومؤذن المسجد ساعاتنا. » (المصدر نفسه، ٦٠)

ج- الاهتمام بالدين في الدراسة: «ابنه الثاني قد دخل الأزهر، واضطرب فيه سنوات وأخفق، ثم عاد لبلدنا ليكون فقيها ومأذونها بقي الابن الأصغر عمي إسماعيل آخر العنقود، يهيئه القدر واتساع رزق أبيه أبهي وأعطر، لعله خشى في مبدأ الأمر، عندما أجبره أبوه على حفظ

القرآن أن يدفع به إلى الأزهر.» (المصدر نفسه، ٦١٩) يصف الكاتب شخصية إسماعيل مرحلة تلو أخرى وفي الواقع الصراع والتناقض ليس موجودا في شخصيته قبل ذهابه إلى إنجلترا. نستطيع أن نقسم تصرفات إسماعيل الدينية إلى ثلاث مراحل:

أ. تصرفاته قبل ذهابه إلى إنجلترا

ب. تصرفاته في إنجلترا

ج. تصرفاته بعد رجوعه من إنجلترا

أ- قبل الذهاب إلى إنجلترا: ليس هناك أثر للصراع والتناقض في تصرفاته الدينية، يحترم المسجد ويقدمه كموطنه ولو أن الكاتب يشير إشارة عابرة إلا أنه يخاف أن يجبره أبوه على الذهاب إلى مدرسة كما أجبره على حفظ القرآن الكريم، وفي الواقع هذه المرحلة خالية من الصراع والتناقض، «لعله خشي في بادئ الأمر أن يجبره على حفظ القرآن وأن يدفع به إلى الأزهر.» (المصدر نفسه، ٦١)

- في إنجلترا: يسافر إسماعيل إلى إنجلترا لاكتساب الشهادة في الطب وجراحة العيون ويوصيه أبوه أن يكون محتفظا على دينه وإيمانه، تدل وصاياه الأولى على هذه المسألة، تظهر شخصية ماري بالإضافة إلى شخصيته في هذه المرحلة، في الواقع ماري شخصية رئيسة تمثل الكفر وفسوق الغربيين عموما، هي ممثلة فيختارها الكاتب حتى تقني جذور الدين في إسماعيل، لا يقدم الكاتب معطيات عن إنجلترا سواء دينية أو اجتماعية أو من الناحية الاقتصادية للقارئ في هذه المرحلة، فقط يشير إلى أن إسماعيل لجأ إلى ماري ونسي شخصيته الدينية، «وصيتي إليك أن تعيش في "بلاد بزه" كما عشت هنا حريصا على دينك وإن تساهل مرة فلن تدري إلى أن يقودك تساهلك ونحن يا بني نريدك أن ترجع إلينا مفلحا لتبيض وجوهنا أمام الناس.» (حقي، ١٩٩٧م: ٧١)

ويحاول إسماعيل أن ينسي الدين وتعاليمه، لكن، من حيث أن الدين هو جزء لا يتجزأ من الطبيعة، يتمسك بالدين وتعاليمه في التعامل مع الإنكليز. «رأته يطيل جلسته بجانب من مرضاه ويخص بعطفه من يلحظ فيه آثار الزمن للأعصاب والعقول ومال أكثرهم في أوربا؛ يجلس صامتاً ينصت لشكواهم؛ كان أكبر كرم منه أن يمشي منطقة منطقتهم المريض؛ لحظته (ماري) وحلقة المرضي والمهزومين تطبق عليه يتثبتون به.» (المصدر نفسه، ٨٨)

وأن الأزمة التي أصيب إسماعيل بها وتركه للدراسة على أن الدين وتعاليمه لم يمح من وجوده تماما، تحاول ماري أن تزيل بقية جذور الدين فيقيماني في قرية لـ "إسكتلندا" لمدة؛ «لم تقو أعصابه على تحمل هذا التيه الذي وجد غريفا وحيدا في خلته، فمرس وانقطع عن الدراسة ، وافترسه نوع من القلق والحيرة. بل بدت أحيانا لمحات الخوف والذعر كانت (ماري) هي التي أنقذته؛ أخذته في رحلة إلى الريف بإسكتلندا يجولان بالنهار مشيا أو على

الدراجة بين الحقول أو يصطادان السمك وبالليل تذيقه من متعة الحب أشكالاً وألواناً.
«(المصدر نفسه، ٨٨-٨٩)

- تصرفاته بعد رجوعه من إنجلترا: تقسم هذه المرحلة على قسمين: أ- مرحلة الثورة أو التمرد: ب- مرحلة العودة أو الرجوع.

أ. مرحلة الثورة: يرجع إسماعيل إلى وطنه وهو مملوء بالعلم والمعرفة، اطلع إسماعيل على العلوم الحديثة في إنجلترا رأى التقدم والابتكار هناك، رأى كيف يعيش الناس وكيف أنه يوجد لديهم مستوى عال من الرفاهية فيريد أن يكون وطنه في نفس هذا المستوى من الرفاهية، التقدم والتحرر كإنجلترا فيحاول أن يكشف العامل الرئيسي في تخلف بلده ثم يفكر ويرى أن الفرق الوحيد بين البلدين يتمثل في الناحية الدينية، وأخيراً يستنتج أن العامل الرئيسي في بؤس وتخلف بلده هو الدين، كان قد نسي الدين وتعاليمه في هذا المرحلة ولم يبق لها أي أثر فيه، فيسعي إلى أخذ عقائد موطنه منهم حتى يصلوا إلى التقدم والرفاه، تبدأ معركة إسماعيل عندما يرى أن أمه لا تذهب إلى الطبيب العيون بل تستفيد من زيت قنديل أم هاشم، يقوم برمي الزيت في البداية ثم يذهب ليكسر القنديل ويفنى كل العقائد الدينية، في الواقع يريد أن يمحي عقائدهم القلبية بكسره للقنديل.

«سألها إسماعيل : ما هذا أمي؟ - هذا زيت قنديل أم هاشم؛ تعودت أن أقطر لها منه كل مساء لقد جاءنا به صديقك الشيخ درديري؛ إنه يذكرك ويتشوق إليك؛ هل تذكره؟ أم تراك نسيته؟ قفز إسماعيل من مكانه كالملسوع؛ أليس من العجيب أنه وهو طبيب عيون يشاهد في أول ليلة من عودته، بأية وسيلة تداوي بعض العيون الرمداء في وطنه؟ تقدم إسماعيل إلى فاطمة فأوقفها، وحل رباطها وفحص عينيها، فوجد رمداً قد أثلف الجفنين وأضر بالمقلة، فلو وجد العلاج المهدئ المسكن لتمائلت للشفاء، ولكنها تسوء بالزيت الحار كل ما فعله إسماعيل بعد ذلك يدل على أن المرض العصبي القديم قد عاوده فجأة وانفجر بشدة من جديد فقد وعيه وشعر بحلقه يجف شب على قدميه واقفاً؛ لا شك أن نظرتة ما يخيف، فقد تضالت الأم وابتعد الأب عن طريقه؛ هجم إسماعيل على أمه يحاول أن ينتزع منها الزجاجاة، فتشبث بها لحظة ثم تركتها له؛ فأخذها من يدها بشدة وعنف، وبحركة سريعة طوح بها من النافذة.»(حقي، ١٩٩٧م: ٩٨ - ١٠٠)

« التفت إسماعيل إلى ركن في المقام فوجد الشيخ درديري رجلاً معصوب الرأس بمنديل نسائي زجاجة صغيرة في حرص، كأنما هي بعض المهربات؛ لم يملك إسماعيل نفسه؛ فقد وعيه، وشعر بطنين أجراس عديدة، وزاغ بصره، ثم شب، وأهوى بعصاه على القنديل فحطمه وتناثر زجاجه، ثم لم يستطيع أن يتم جملته.»(المصدر نفسه، ١٠٤)

الجدير بالذكر أن الناس لم يقفوا مكتوفي الأيدي أمام تصرف إسماعيل بل نهضوا وكادوا أن

يقتلوه وهذا العمل يدل على أن الناس يهتمون بالدين حتي لو كانوا الفقراء؛ «هجمت الجمع وتهدمت فوقه، فخر على الأرض مغمي عليه؛ ضربوه وداسوه بالأقدام وجرح رأسه وسال الدم على وجهه ومزقت ثيابه.» (المصدر نفسه، ١٠٤ - ١٠٥)

مرحلة العودة: يقرر إسماعيل أن يوضح للجميع أن الدين ليس إلا شيئاً سخيلاً، وأن هذا الدين قد سبب البقاء في البؤس والتخلف. فقرر لإثبات ادعائه وإقناع الجميع أن يعالج عيني فاطمة معتمداً على العلم فحسب، فبدأ عمله دون أي اعتقاد بالزيت والقنديل لكنه لم ينجح في ذلك، وتساءل حالة عينيها يوماً بعد يوم، يترك إسماعيل البيت ويختار العزلة حتي يكتشف سبب فشله، إذ وجد أن ما يبحث عنه بعد أشهر من التفكير، وفهم أن العامل الرئيسي في فشله هو عدم الإيمان كما اكتشف أن الدين ليس متعارضاً مع التطور بل يدعو إلى أن ينأ بالناس عن الجهل. « واستيقظ إسماعيل ذات صباح وهو يشعر بنشاط عجيب كفي مثل هذه الأحوال بقفز الشخص من النقيض فجأة وبلا سبب ظاهر وخرج من الدار مبكراً وعاد يحمل حقيبة، ملأها بالزجاجات والأربطة والمراد، وبدأ علاجه لفاطمة كما يقتضيه علمه؛ لقد عالج في أوروبا أكثر من مائة حالة لفاطمة كما فلم يخنه التوفيق في واحدة؛ فلماذا لم ينجح مع فاطمة أيضاً؟ في الصباح تجلس فاطمة بين يديه وقبل النوم ومر يوم وثان وثالثاً وأسبوع وأخر وعيون فاطمة على حالها إذا بها تسوء فجأة وتلتهي ويختلط سوادها بالبياض.» (المصدر نفسه، ١٠٨) « انفض إسماعيل من رأس إلى أخمص قدميه، أين أنت أيها النور الذي غبت عني دهرًا؟ مرحبا بك! لقد زالت الغشاوة التي كانت ترين على قلبي وعيني وفهمت الآن ما كان خافياً علي؛ لا علم بلا إيمان؛ إنما إيمانها ببركتك أنت وكرمك ومنك؛ ببركتك يا أم هاشم.» (المصدر نفسه، ١١٧) «وعاد من جديد إلى علمه وطبه يسنده الإيمان، لم يبأس عندما وجد الداء متشبهاً قديماً، يجادله بعناد ولا يتزحزح. ثابر واستمر ولاحت بارقة الأمل؛ ففاطمة تتقدم للشفاء على يديه يوماً بعد يوم، وإذا بها تكسب في آخر العلاج ما تأخرته في مبدئه، فهي تقفز أدواره الأخيرة قفزاً؛ ولما رآها ذات يوم أمامه سليمة في عافية، فتش في ذهنه وقلبه عن الدهشة التي كان يخشاها، فلم يجدها.» (حقي، ١٩٩٧م: ١١٩) لم يهتم الكاتب بنقاط عديدة، منها:

- لم يذكر حواراً دينية واعتقادياً بين إسماعيل والآخرين، مع أن الدين محور رئيسي في الرواية ولا بد من الحوار حوله.

- لم يذكر الكاتب العامل والحدث الرئيسي المسبب لعودة إسماعيل إلى الدين.

- لا يشير إلى الدين عند الإنكليز بشكل مباشر.

مسجد السيدة زينب والقنديل يمثلان رمزاً للدين ويستفيد الكاتب من الوصف لتصويرهما.

نستطيع أن نقسم الأوصاف إلى قسمين: - أوصاف المسجد - أوصاف المسجد والقنديل.

-الأوصاف التي تصف المسجد:

أ-يقوم الكاتب بوصف المتسولين والباطعين، كما يذكر الحوارات الدينية بينهم وهذا يدل على أن الدين قد ترسخ في جميع جوانب الحياة «حراتي يا فول حلّي وع النبي صلّي المسواك سنة عن رسول الله.»

ب- يقوم الكاتب بوصف الأماكن حول المسجد وهي المقاهي والخمّارات حيث تدل المقاهي والخمّارة حول المسجد على أن الناس ينسوا بكم يهتمون بالدين في المجتمع الواحد؛ «تسمع من القهاوي ضحكات غضة وأخرى غليظة "حشّاشي"؛ وإذا دلفت من الميدان إلى مدخل شارع مراسينا سمعت ضجيج السكارى في خمارة أنسطاسي التي يلقبها أهل الحي بفكاهتم خمارة "أنست"؛ يخرج منها سكير هائج يتطوح ويتعرض للمارة.»(المصدر نفسه، ٦٨)

- الأوصاف التي تصف القنديل: يصف إسماعيل القنديل فقط وتقسّم توصيفاته على ثلاث أقسام:

-توصيفاته قبل ذهابه إلى إنجلترا: يصف القنديل الضوء والتألق واللمعان.

« نظر إلى القبة، لألاء من نور يطوف بها، هذا هو قنديل أم هاشم المعلق فوق المقام؛ هيات للجدران أن تحجب أضواءه.»(المصدر نفسه، ٦٦)

- توصيفاته في مرحلة التمرد أو الثورة: يصف القنديل مع التراب والغبار؛ «هذا هو القنديل قد علق التراب بزجاجه واسودت من هبابه، تفوح منه رائحة احتراق خانقة؛ أكثر ما ينبعث منه دخان لا بصيص ضوء.» (المصدر نفسه، ١٠٣)

- توصيفاته في مرحلة الرجوع: يصف القنديل والضوء واللمعان في هذه المرحلة كما يصفه في مرحلة ما قبل ذهابه إلى إنجلترا، « ورفع إسماعيل بصره، فإذا القنديل في مكانه يضيء كالعين المطمئنة التي رأته، وأدركت، واستقرت، خيل إليه أن القنديل، وهو يضيء، يومئ إليه ويبتسم.»(حقي، ١٩٩٧م: ١١٧ - ١١٨)

العلم: قيمة العلم كبيرة جدا حتي أن الله قد أقسم بالقلم وما يكتب، نستطيع إدراك قيمة العلم والتفكر من تعليمات النبي وحضه على التعلم، بالإضافة إلى آيات القرآن الكريم.

إن العلم وبحوثه واحد من الاختلافات بين الدول الأوربية وهو سبب هيمنة البلاد الأوربية على البلاد الآسيوية. وقد وضع الكاتب كلا من البلاد الآسيوية والأوربية من حيث المستوي في قنديل أم هاشم وبشكل جميل، قد أختار شخصية إسماعيل كممثل للعلم، يذكر الكاتب الخلفية العلمية المتألفة لإسماعيل ليفهم الجميع أنه يليق بالعلوم الأوربية، حيث يرتقي التقدم واحدة تلو الأخرى وتقدمه مدهش وهو أفضل من جميع الطلاب ويتفوق عليهم جميعا لكن تقدمه يتوقف في نقطة ما وهي أن إسماعيل لا يستطيع أن يدرس طب العيون فيذهب إلى إنجلترا لتجنب هذا الركود. قد جعل الكاتب شخصية ماري رمزا لعلوم الغرب وهي

واحدة من زملاء إسماعيل في إنجلترا، إسماعيل شاب من بلد آسيوي وهو متشوق للعلم إلى حد يدفع بأساتذته لاقتراح إقامته في إنجلترا والعمل هناك. يذهب إسماعيل إلى إنجلترا ويصور علم الغرب ويدل ذهابه على توفر التعليم للجميع وقبول الطلاب من البلاد الأخرى. «آه لو علموا كيف عقد الشيخ رجب نيته على أن يدفع بابنه إلى الصفوف الأولى!! يذهب هنا وهناك يسأل عن حل، لا أدري من الذي قال له: لماذا لا ترسل ابنك إلى أوربا؟» (المصدر نفسه، ٧٦) المسألة التي تدل على فقر وجهل مصر إضافته إلى الظروف الاجتماعية والسياسية التي يصورها الكاتب، فعدم توفر التعليم للجميع حيث يذهب إسماعيل إلى إنجلترا. «وواقفت المراهقة سنة البكالوريا وخرج إسماعيل من الامتحان وأعلنت نتيجة هذا الامتحان فإذا به يفوز ولكن في ذيل الناجحين لقد كان أمله ورجاء الأسرة كلها إن يدخل مدرسة فإذا بها تصدعت أبوابها.» (المصدر نفسه، ٧٥)

ولا يشير الكاتب إلى الوضع العلمي في إنجلترا إشارة مباشرة. يذكر الكاتب جملا نفهم منها ذوق واهتمام الناس كلهم بالعلم والمعرفة منها: أ- يذكر الكاتب الوضع العلمي لأبناء الشيخ رجب كلهم ويقدم هذه الأوضاع واحدة تلو الأخرى: ما منعت الابن الأول من العلم إلا قليلا، يذهب الابن الثاني إلى الأزهر للدراسة ويذهب الابن الثالث إسماعيل إلى إنجلترا، ويدل هذا التقدم العلمي على أن الناس يسعون بشكل دائم حتي يرفعوا مستوياتهم العلمية.

ب- يحتفل الناس بنجاح إسماعيل في دروسه كلها ويقدمون الحلويات والشكولاتة، فيدل هذا العمل على اهتمام الناس كلهم بالعلم.

«سنة بعد سنة وإسماعيل يفوز بالأولوية فإذا أعلنت النتيجة دارت أكواب الشربات على الجيران بل ربما شاركتهم المارة أيضا وزغردت ما شاء الله بائعة الطعمية والبصارة وأطلقت الست عدليه بخورها وقامت بوفاء نذرها لأم هانم.» (حقي، ١٩٩٧م: ٦٥)

إن العلم والدين هما الطريقتان المختلفتان لتحقيق هدف واحد، حيث يلبي الدين احتياجات الروح ويلبي العلم احتياجات الجسم، قد نسي الإنسان المعاصر الدين لذلك فهو يعاني من القلق واليأس، لقد أدرك يحيى حقي أنه لا يوجد تعارض بين الدين والعلم فجعل الدين والعلم في الرواية معا وفي مستوى واحد.

الجنس: إن الإنسان كائن اجتماعي ولا يستطيع أن يلبي حاجاته عن طريق الحياة الفردية ولا يوجد لديه حل لذلك إلا عن طريق الحياة الاجتماعية، وقد ازدادت نشاطات النساء في المجتمع مع ارتفاع المستوي العلمي والرفاهية والعلاقات الاجتماعية فيبرز وجودها في المجتمع يوما بعد يوم ثم كثر القلق: هل وجوده في المجتمع صحيح؟ هل هناك حد لحضورهن؟ من حيث أن الإسلام يهتم بجميع جوانب الحياة فقد اهتم بهذه المسألة كالمسائل

الأخرى فيعتبر الإسلام وجود المرأة إلى جانب الرجال صحيحا وذلك مع مراعاة ما يتعلق بالتعاليم الإسلامية ويعتقد الغربيون بأن العلاقة بين المرأة والرجل يجب أن تكون حرة، فيعلمون على ترويح هذه الفكرة، لكن البلاد الآسيوية تعتقد بمحدودية هذه العلاقة فهي واحدة من الاختلافات بين المجتمعات الشرقية والغربية، فيصف يحيى حقي هذا الموضوع في قنديل أم هاشم قد اختار ماري لنساء أوروبا وأم إسماعيل وفاطمة رمزا للنساء الشرقيات.

- تتمتع نساء أوروبا بكل التسهيلات كالرجال، مثلا: تقوم ماري بالدراسة في الجامعة كالرجال وإلى جانبهم، «أنَّ لم يكن في هذه الفترة سوي ماري زميلته في الدراسة لكفي بها في نسيان ماضيه.» (حقي، ١٩٩٧م: ٨٧)

- لا يذكر الكاتب نشاطات خارج المنزل لنساء مصر، إن العمل في المنزل والنشاطات الفنية من أهم نشاطاتها على سبيل المثال: تعمل فاطمة بالحاكاة؛ «صامته كأنها أمة وهو سيدها؛ تعودت أن تسهر معه كأن الدرس درسها، تتطلع إليه بعينها المريضتين المحمرتي الأجان، وأصابها تعمل في حركة متصلة لا تتقطع في بعض أشغال "التركو".» (المصدر نفسه، ٦١)

- لا يذكر الكاتب دراسة وعلماء لنساء مصر بل وكما نفهم من الرواية إن العلم مختص بالرجال في مجتمع مصر.

- لا حد في العلاقة بين الرجال والنساء في البلاد الأوروبية على سبيل المثال: إن العلاقة ماري مع إسماعيل متحررة إلى الحد الذي حظيت فيه بإعجاب إسماعيل. «لقد أخذ هذا الفتى الشرقي بلبها فأثرته واحتضنته؛ عندما وهبته نفسها، كانت هي التي فضت براءته العذراء، أخرجته من الوحم والخمول إلى النشاط والوثوق فتحت له آفاقا مجهلها من الجمال؛ ما تخشاه هي القيود وأخشى ما يخشاه هو الحرية؛ كانت هبتها في مبدأ الأمر محل حيرته، فكانت حيرته محل سخريتها.»

- يهتم المجتمع المصري بالحد في العلاقة بين الرجال والنساء ونفهم هذا الحد من انفصال موقع الزيارة في مسجد السيدة زينب «دار إسماعيل حول المقام، حتي إذا جاء للسور الذي مكان النساء عن الرجال.» (المصدر نفسه، ٧٩)

- " مادام أفتاليا" من الشخصيات الأخرى في مجتمع مصر وهي من النساء الأوروبيات وإن كانت تعيش لكنها مشغولة بنشاطات خارج المنزل، لا يعطي الكاتب مزيدا من المعلومات عن مادام إفتاليا بل يكتفي يذكر هذا الموضوع: أنها ليست شبيهة بالنساء الأوروبيات في جميع الخصائص بل كانت طامعة كالمصريين.

«وسكن في غرفة تستغله منذ أول وقوعه في يدها حتى لتكاد تضع في كشف الحساب تحية الصباح، أو تستفضيه خطوتها إذا قامت وفتحت له الباب، حاسبته مرة على قطعة سكر

استزادها في إفطار؛ لا شك أن الإفرنج في مصر من طينة أخرى رآها في أوروبا.» (المصدر نفسه، ١١٠)

الغرب في "فارسي شكر است" «الفارسي هو السكر»

شكلت قضية المواجهة بين الشرق والغرب أحد أبرز القضايا التي اشتغلت بوصفها موجّهاً موضوعياً ناجزاً للسرد الروائي المعاصر، والراوي في رواية "الفارسي هو السكر" قد رسم صورة المواجهة بين الشرق والغرب من خلال اللغة و الملابس.

اللغة: الإنسان كائن اجتماعي وأهم قضايا الحياة الاجتماعية هي التعامل والارتباط مع الآخرين، رغم أنه قد تنوعت وتعددت الوسائل الارتباطية وترقت في الحياة البشرية لكن أهم الوسائل الارتباطية وأبسطها هي اللغة، في الواقع أن اللغة هي أول وسيلة للربط بين الناس والمجتمعات ولغة كل شعب هي ثقافته ويحاول كل شعب أن ينقي لغته عن اللغات الأجنبية لكنه في المجموع لا توجد لغة خلت من المفردات الأجنبية تماماً، إذ أن المفردات التي تدخل في لغة ما على مدي الزمان والعصور تصبح جزءاً من تلك اللغة شيئاً فشيئاً.

إيران من البلاد التي كانت تحت سيطرة الاستعمار منذ القدم، فقد دخلت المفردات الأجنبية في اللغة الفارسية في التعامل والاحتكاك مع الدول الغربية شيئاً فشيئاً، حتى أن الدوائر الحكومية كانت تستخدم الألفاظ الأجنبية في حواراتها (أشوري، بلاتا: ٦٢) إن اللغة الفارسية هي الهوية الإيرانية وتحاول البلاد الأجنبية أن تهلكها ولا سيما البلاد الأوروبية بدخول الكلمات الأجنبية. يحاول المؤلف أن يصور تأثير اللغات الأجنبية على اللغة الفارسية في "فارسي شكر است" «الفارسي هو السكر» ويستفيد المؤلف من شخصيات القصة للتعبير عن هذا التصوير، يمثل كل من شخصيات الرواية بلداً، وثقافة وقد استخدم "جمال زاده" ثلاث شخصيات رمضان، يوناني الأصل، الشيخ للتعبير عن هذا التأثير، يمثل الشيخ واليوناني الأصل اثنين من اللغات الأجنبية اللتان تسعيان إلى إفناء أصالة اللغة الفارسية عن طريق التدخل والتصرف فيها في الواقع أن اليوناني الأصل هو ممثل العالم الحديث وهو يظن أنهم يملكون العلم، إن الشيخ هو ممثل اللغة العربية والإسلام، يمثل رمضان الشعب الإيراني واللغة الفارسية الأصيلة. يتكلم رمضان باللغة الفارسية الأصيلة ويحسب الشيخ واليوناني الأصل مجانين وأن كليهما من البلاد الأجنبية. «كريبه براي چه؟ اگر هم قطارهايت بدانند دستت خواهند انداخت وديگر خر بيار وخجالت بار كن، كفت: اي دردت به جان اين ديوانه بيفتد، به خدا هيچ نمانده بود زهره ام بتركد، ديدي چطور اين ديوانه يك كلمه حرف سرشان نمي شود وهمه شان زبان جني حرف مي زنند» (پاينده، ١٣٩١ش: ٩٩)

لقد قرر الكاتب أن اللغة الفارسية في طريقها إلى الزوال فيجعل أمام اللغة الفارسية الأصلية اللغتين العربية والإنجليزية، فيختار الشخصيتان الفارسيات اللتان قد أصيبتا بالانهيار وقد

دمرتا هويتها عند تحديثهما، فيذكر الشخصية الشعبية ضد هاتين الشخصيتين والتي حفظت اللغة وهويتها، يعتقد " جمال زاده "، أن اللغة الفارسية التي تدل على هوية الإيراني تفقد أصالتها عندما تمتزج باللغات الأخرى. يركب الراوي الشيخ واليوناني الأصل وسيلة النقل ويذهبون معا إلى رشت ونفهم من هذا الاجتماع أننا لا نستطيع أن نمنع دخول الثقافات وأنه لا مفر من هذا إلا التسوية فيجب أن يكون الناس واعون حتي لا تفقد اللغة إصالتها.

«رفتم ودر پی تدارك يك درشكه براي رفتن به رشت وچند دقیقه بعد با جناب شیخ و خان فرنگی مآب، دانگی درشكه گرفته ودر شرف حرکت بودیم رمضان دوان دوان آمد يك دستمال آجیل به دست من داد.» (پاینده، ١٣٩١ش: ٩٨)

لم يتأثر الإيراني عند كتابة الرواية بثقافة الغرب فقط بل تأثر بالثقافة العربية أيضا، حيث يدل وجود الشيخ واليوناني الأصل على هذا الحديث، ويبرز هذا التأثير في المقام الأول عند الفئة المتمتعة بمستوي عال من الرفاهية أو معروفة في المجتمع بعبارة أخرى لا يفكر الإنسان العادي بالتغيير. يشير جمال زاده إلى امتزاج اللغة الفارسية بثقافة الأخرى في " فارسي شكر است" وهو لا يقدم الحل فقد واجه العالم لا سيما البلدان الشرقية منذ زمن القديم مسألة التأثير الغربي وفقدان الهوية يهتم " جمال زاده " بهذا الموضوع مع أنه لم يعش في إيران ويشمل هذا الموضوع في جزء كبير من قصته، يدل على اللغة الفارسية وإصالتها.

الملابس: يرتدي الإنسان الملابس ليقى جسمه من البرد والحرارة والعاصفة منذ بداية الحياة، كان دور الملابس وقائيا في بداية تشكيل المجتمعات، عندما توسعت وكثرت علاقتها معا فصار اللباس مظهرا للثقافة والهوية، يدل تغيير الملابس على تحول المجتمعات، إن الإيرانيين من الناس الذين كانوا ذوي ملابس خاصة من البداية، كان الاتصال بالأوروبيين ودخول صنعة الحياكة والغزل في إيران من الأسباب الرئيسي في تحول الملابس قد حدثت تحولات ثقافية كثيرة في عصر الصفويين والقجريين في إيران. إن رواية "فارسي شكر است" «الفارسي هو السكر» هي نموذج بارز وقد ذكر الكاتب الملابس لبيان الاختلافات بين الشرق والغرب والتأثير الذي أوجده الغرب على الشرق. نستطيع أن نقسم الشخصيات الذي يعرفها " جمال زاده " مع وصفه للألبسة إلى قسمين:

أ- الشخصيات الرئيسية ب- الشخصيات الفرعية

أ: الشخصيات الرئيسية: لا وجود للشخصيات الرئيسية في القصة عند البداية، باستثناء الراوي بل تتجمع في مكان واحد خلال حدث ما، ولكنها تبقى كلها حتي نهاية القصة وتلعب دورا رئيسيا في الرواية، ليجلو جمال زاده الاختلاف في اللباس في القصة يتمتع في أربع شخصيات وهي : الراوي، الشيخ، رمضان واليوناني الأصل. حيث يلعب الراوي دورا رئيسيا وهاما، وهو يصف الشخصيات واللباس والأعمال في القصة فسنتناوله في البداية ثم نذهب

إلى الشخصيات الأخرى: "لا يعطي الراوي للقاري معطيات عن ماضيه، منها: أ- في أي بلد عاش قبل الدخول إلى إيران ب- ما هو عمله ج- ما هو مستواه من التعليم؟ ندرك من خلال حوار مع وكلاء الحكومة أنه ذو نسب «چطور آیا شما ایرانی هستيد؟ گفتم ما شاء الله عجب سوالي مي فرمايي پس مي خواهيد كجايي باشم، البته كه ايراني هستم هفت جدم ايراني بوده اند محله سنكلج مثل گاو پیشانی سفید إحدى پیدا نمی شود که پیر غلامتان را نشناسد.» (پاینده، ۱۳۹۱ش: ۹۳)

لا يصف الراوي ثوبه بل يشير إلى ربطة عنقه في عدة مواضع ويقرنها بوصف "لگني" ونفهم من هذا الوصف انه ليس متعلقا ومهتما بالدول الأوروبية. «من بخت برگشته ي مادر مرده مجال نشد كلاه لگني فرنگيم را كه از فرنگستان سرم مانده بود را عوض كنم وياروها ما را پسر حاجي ولقمه چري فرض كردند.» (المصدر نفسه، ۹۳)

رمضان في تحدته مع زملائه عن الملابس، حيث يسبب هذا العمل أن تكون صورة عن لباس راوي من هذا ندرك أنه لا يعتمد عن الراوي بحسب ملابسه في الواقع. «نف تسليمي به زمين ونگاهي به صحن محبس انداخت من كه فرنگ بودم وكاري با من ساخته نبود از فرنگي مآب هم چشمش آب نمي خورد واين بود كه پابرجين پابرجين به طرف شيخ رفت.» (المصدر نفسه، ۹۵)

قد اهتم الكاتب بوصف القبعة للتعبير عن أنواع مختلفة من اللباس في المرحلة الأولى، يصف الكاتب رمضان "بالقبعة نمدي"، الراوي بالقبعة الأوروبية والشيخ بالعمامة في الواقع يذكر الراوي قبعة لكل شخصية على أساس الوضع الاجتماعي وهذا هو واحد من الموضوعات التي قد اهتم بها الكاتب بعناية، لأن القبعات هي جزء مهم من الملابس في الثقافة الإيرانية فتمثل القبعات المكانة الاجتماعية، المهنة، الدين، العرق، الجنسية والهوية إضافة إلى أنها تخلق دورا وقائيا ضد الحرارة والبرودة والكوارث الطبيعية (الهي، ۱۳۸۹ش: ۱۸) يكتفي الكاتب في وصف ملابس اليوناني الأصل على سبيل المثال:

أ- يذكر ياقته: «آقاي فرنگي مآب با يخه اي بلندي لوله سماوري كه دود خط آنهاي نفتي قفقاز تقريبا به همان رنگ لوله سماورش درآمده بود در بالاي طاقچه نشست و تحت فشار اين يخه كه مثل كندي بود كه به گردنش زده باشند در اين تاريخي وروشن غرق خواندن كتاب روماني بود.» (پاینده، ۱۳۹۱ش: ۹۷)

ب- يذكر المعطف وصدريته «به شنيدن اين كلمات فرنگي مآب از طاقچه پايين پريده وكتابي را دولا کرده ودر جيب گشاد پالتو چپاند وبا لب خندان به طرف رمضان رفته محض خالي نبودن عريضه دست ديگر را هم به ميدان آورده هر دو را روي سينه گذاشته و دو انگشت ابهام را در دو سوراخ جليقه جا داده.» (المصدر نفسه، ۹۸)

ج- يشير إلى ساعة في يده: «فقط گاهي لب ولوجه اي تكان داده وتك يكي از دو سبيلش را که چون دو عقرب جراره بر کنار لانه دهان قرار گرفته بود به زیر دندان گرفته ومشغول جويدن مي شد وگاهي هم ساعتش را در آورده نگاهي مي کرد.» (المصدر نفسه، ١٩٦)

يصف الكاتب أعمال الشخصيات لتعرفها أكثر ويكثر الكاتب من الوصف.

ب: الشخصيات الفرعية: هذه الشخصيات ليست مستقرة وثابتة في القصة ولا تساهم في تشكيل القصة ويشير الكاتب إليهم إشارة عابرة يصفها الكاتب ويصف القبعات كما وصف الشخصيات الرئيسية نستطيع أن نقسمهم إلى قسمين:

أ- التجار التي تأتي من الخارج: «میان مسافران ديگر کار من از همه زارتر بود چون سايرين عموماً کاسب کارهاي لباده دراز وکلاه کوته باکو ورشت بودند که به زور چماق وواحد يموت(صحيح است) هم بند از کيسه شان باز نمي شد.» (پاينده، ١٣٩١ش: ٩١)

ب- موظفو الحكومة: «صف شکافته شد وعنق منکسر ومنحوس دو نفر از مامورين تذکره که انکاري خود انکر(صحيح است) ومنکر بودند با چند نفر فراش سرخ پوش وشير خورشيد به کلاه با صورت هاي اخمو وعبوس وسبيل هاي از بنا گوش در رفته ابي که مانند بيرق جوع نسيم به حرکت درشان آورده بود در مقابل ما مانند آيينه ي دق حاضر گرديدند.» (المصدر نفسه، ٩١) لم يتعجب رمضان بملابسهم ولا يشير إلى ملابسهم على الرغم إنه متعجب من طريقة حديثهم.

المقارنة بين الأثرين

بعد تناول مضمون الأثرين نقوم بالمقارنة بين الأثرين ولا نكتفي بالمقارنة من اتجاه محدد بل نقارنهما من حيث الكاتبين، الشخصيات، الزمان، المكان وأخيراً نقارن مضمون الأثرين معاً.

المقارنة بين الكاتبين: قد عُرفتَ بلادهما ظروفًا متشابهًا من النواحي السياسية والاجتماعية والتاريخية، فقد عاش كل من الكاتبين في الظروف نفسها، سافرا إلى الدول الأوروبية وعاشا فترة طويلة هناك على الرغم من أن جمال زاده لم يعد إلى وطنه، يتجلى تأثير الكتابة الغربية على آثارهما، إذ إنهما من رواد القصة القصيرة وقد اهتمتا بالواقعية لا سيما المسائل السياسية، الاجتماعية والاقتصادية في ذلك الوقت.

المقارنة بين الشخصيات: هناك تشابهات من حيث الشخصيات في الأثرين، فقد جعل كل من الكاتبين رموزاً للشرق والغرب في أثريهما، تدل كل من شخصية "ماري واليوناني الأصل على الغرب" أن "إسماعيل ورمضان رمزين للشرق". هناك رمز للدين في كلا الأثرين و"هما الشيخ في الفارسي هو السكر والقنديل والزيت في قنديل أم هاشم"، إن سلوك الشخصية التي تعود من الخارج هو الفرق الرئيسي في الأثرين: يريد إسماعيل يغير جماهير الناس على وفقا للثقافة الغربية فهو مصاب بتعارض ديني وثقافي في هذا السلوك أخيراً ينفذ نفسه

من الصراع والارتباك لكنه لم يقم بأي عمل ليوقظ الناس وإنما تركهم غارقين في النوم. لا يصاب في "فارسي شكر است" «الفرسي هو السكر» بالتعارض والصراع بل أنه قد فهم أن تقدم البلاد يتم في ظل التسوية والمصالحة من البداية، يعتقد أن الميل إلى الثقافات الغربية يجب أن يكون معتدلاً وهو يميل إلى الاعتدال وتمضي الشخصيات الأخرى في الإفراط والتفريط.

المقارنة بين الزمان والمكان: إن الزمن في "قنديل أم هاشم" زمن طويل، يبدأ من طفولة والد إسماعيل وينتهي بموت إسماعيل، حيث يذكر الراوي تطور شخصية إسماعيل، أمّا في "فارسي شكر است" «الفرسي هو السكر» فالزمن قصير وغامض ولا يشير الراوي إلى تطور الشخصيات، إن المكان في "قنديل أم هاشم" ثابت ولا يغير، إلا عندما يذهب إسماعيل إلى الخارج ويعود إلى المكان السابق مرة أخرى إن المكان في "فارسي شكر است" «الفرسي هو السكر» متغير على الرغم من أن الزمن قصير.

المقارنة بين المضمون الأثرين: قد تناول كلاهما تأثير الغرب في أثره، ويبدو ترسخ الغرب في هوية المجتمع في هذين الأثرين ونحن نعلم أن الهوية تتكون من الدين، اللباس، الجنسية، القومية، اللغة و.... إلخ قد أثر الغرب في "قنديل أم هاشم" في الدين، العلم، الجنس وقد أثر في "فارسي شكر است" «الفرسي هو السكر» في اللغة واللباس.

من خلال هذه المقالة نستنتج فيما يلي:

- الصراع الموجود بين الغرب والشرق في الواقع صراع بين القيم المادية والقيم الروحية، وصراع بين الدين والإلحاد، وصراع بين الأخلاق والإباحية، وصراع بين الرجولة الشرقية والأنوثة الغربية؛ وقد يعكس هذا الصراع التفاوت الحضاري بين غرب التقدم والعلم والتكنولوجيا، وشرق التخلف والجهل والخرافات والأساطير، جلية ووضوح في روايتين والتي تصور التقابل الحضاري المتفاوت بين العقلية الغربية والعقلية الشرقية من خلال التقابل بين شخصيات.

- لم تكن رؤية الكاتبين للغرب رؤية انبهاريه، تلك النظرة الحائرة القائمة على الاندهاش والتعجب والاستغراب بحضارة الغرب، والافتتان بتقدمه وازدهاره- بل كانت رؤيتهما حضارية، بحيث تنبها إلى أسباب تقدم الغرب مادياً وتقنياً وعلمياً وثقافياً وفنياً، ولكنهما تنبها أيضاً إلى قيمة الشرق، وتميزه على مستوى القيم الدينية والروحانية، والدفاع عن أصالته وعاداته وتقاليده وحضارته وشرقيته.

- الغاية الأساسية من إبداع الشخصيات الروائية هي فهم المجتمع فإن هذا الأمر قد لا يكون على هذا النحو تماماً في الروايتين؛ لأنها رمزية، وبالتالي لن تعبر عن مضمونها بشكل مباشر، ولكن من خلال الرموز، أو الإيحاء غير المباشر. فإن الكاتبين حين يشاهدان

في الجانب الغربي ألواناً من التقدم الحضاري لا يفوتهما أن يرصدا الجانب الآخر؛ أو الوجه الثاني من العملة؛ وهو انتقاد الجانب الروحي والإنساني؛ ويعبر عن ذلك كله من خلال الشخصيات الثانوية أيضاً

- أحسن الكاتبان استخدام العامية في روايتهما لإيصال الصورة بشكل أقرب للمتلقي، واستخدام الأفكار والإسهام في بناء الشخصية ومستواها البيئي والثقافي.

- قصة قنديل تدور حول استنكار الدين والاتجاه إلى العلم وقصة جمال زاده تدور حول الثقافة الغربية وذلك عبر الاستهزاء ببعض التصرفات الشخصية ونوع الملابس ولا نرى هذا الأمر عند يحيى حقي.

- في قصة يحيى حقي، الدين رمز للشرق والعلم رمز للغرب ولكن في قصة جمال زاده اللغة و الملابس من رموز الغرب.

- في الروايتين نقد مباشر للمجتمع الشرقي على لسان بطليهما؛ ومن ذلك نقد، الازدواجية في الشخصية الشرقية، التذبذب بين الإيمان المطلق من ناحية، والرغبة في التحرر من ناحية أخرى.

المراجع:

- آرين پور، يحيى. (١٣٨٢ش). از صبا تا نيما. چاپ هشتم. تهران: نشر زوار.
- آژند، يعقوب. (١٣٨٥ش). تجدد ادبي در دوره مشروطه. چاپ اول. لامك: نشر تحقيقات وتوسعه علوم انساني.
- آشوري، داريوش. (بلاتا). الفارسي هو السكر، مجله نگاه نو، شماره ٨٦.
- بالائي، كريستف. كويي چرس، ميشل. (١٣٧٨ش). سرچشمه هاي كوتاه فارسي. احمد كريمي حكاك. لامك: نشر معين.
- پابنده، حسين. (١٣٩١ش). داستان كوتاه در ايران. چاپ دوم. لامك: نشر نيلوفر.
- جمشيدى، محمد حسين. (١٣٨٩ش). نگرش اسلامي بر جنسيت دين ودانش. مجله پژوهش هاي علم ودين. پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات. سال اول. شماره اول.
- الحضيبي، محمد حامد. (١٩٩٢م). النقد الادبي الحديث في تطوير الفن القصصي. ط١. القاهرة: رابطة الأدب الحديث.
- حقي، يحيى. (١٩٩٧م). مجموعة قنديل أم هاشم. لامك: الهيئة المصرية للكتاب.
- حميد، الهام. (١٣٨٠ش). دراسة نقدية مجموعة قنديل أم هاشم القصصية مع ترجمة قنديل أم هاشم. رسالة الماجيستر. جامعة العلامة الطباطبائي.
- حميدي، نرگس. (١٣٨٩ش). روايتا قنديل أم هاشم وعصفور من الشرق. رسالة الماجيستر. جامعة العلامة الطباطبائي.
- خاچاطوريان، آرسينه. محسني، احمد. (١٣٩٠ش). نهضت ترجمه در عصر قاجار. مجله پيام بهارستان. سال سوم. شماره ١١.

- خاكزاد، غلام عباس. القصة القصيرة في مصر نشأتها اصولها وتطورها. رسالة الماجستير. جامعة العلامة الطباطبائي.
- الخوري، شحادة. (١٤٢٢ق). رفاة الطهطاوي احد بناء النهضة المصرية. مجلة التراث العربي. العدد ٨١ و٨٢.
- الدسوقي، عمر. (١٩٦٧م). في الأدب الحديث. ط٦. بيروت: دار العلوم.
- الدسوقي، عمر. (١٩٦٧م). في الأدب الحديث. القاهرة: دار الفكر الثقافية.
- ضيف، شوقي. (١٩٦١م). الأدب العربي المعاصر. ط ٢. القاهرة: دار المعارف.
- طلائي، پرويز حسين. نجفیان رضوي، ليلا. (١٣٩٠ش). علل گرايش به ترجمه كتاب هاي تاريخي در عصر قاجار. سال يازدهم. شماره اول.
- طه بدر، عبدالحسين. (١٩٩١م). دراسات أدبية تطور والتجديد في الشعر المصري الحديث. لامك: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- علي اصغري صدر، علي. ميري، سيد جواد. (١٣٩٠ش). بررسي رابطه علم ودين از ديدگاه شريعتي. پژوهشگاه علوم انساني ومطالعات فرهنگي. سال دوم. شماره دوم.
- عنان، عبدالله، (لاتا). حركة الترجمة والتأليف في قرن من تاريخ مصر الحديث. مجلة الهلال، السنة الخامسة الأربعون. الجزء ٦.
- الفاخوري، حنا. (١٩٩١م). الجامع في تاريخ الأدب العربي. بيروت: دارالجيل.
- فاروق، عبد المعطي. (١٩٩٤م). يحيي حقي الأديب صاحب القنديل. ط ١. بيروت: دارالكتب العلمية.
- فجال، محمد علي. (١٣٦٧ش). مجلة الثقافة. مصر: العدد ٤٩٧.
- كيان فر، جمشيد. (١٣٨٨ش). مطبوعات دولتي ايران در عصر قاجار. مجله پیام بهارستان. سال اول. شماره اول.
- مقدس، جعفري. محمد حسين. نجفي اصلي، عبدالله. (١٣٨٣ش). پوشش ايرانيان. مجله مطالعات ايراني. سال سوم. شماره پنجم.
- النساج، سيد حامد. (١٩٩٤م). أصوات في القصة القصيرة المصرية. القاهرة: دارالمعارف.
- نوفل، حسن يوسف. (٢٠٠٨م). الأدب الحديث في العالم العربي ومصادر. ط ١. لامك: الشركة المصرية العالمية للنشر.
- الهي، محبوبه. (١٣٨٩ش). لباس به مثابه هويت. فصلنامه مطالعات ملي. سال يازدهم، شماره ٢.